

العرب في شرق إفريقيا جزر القمر

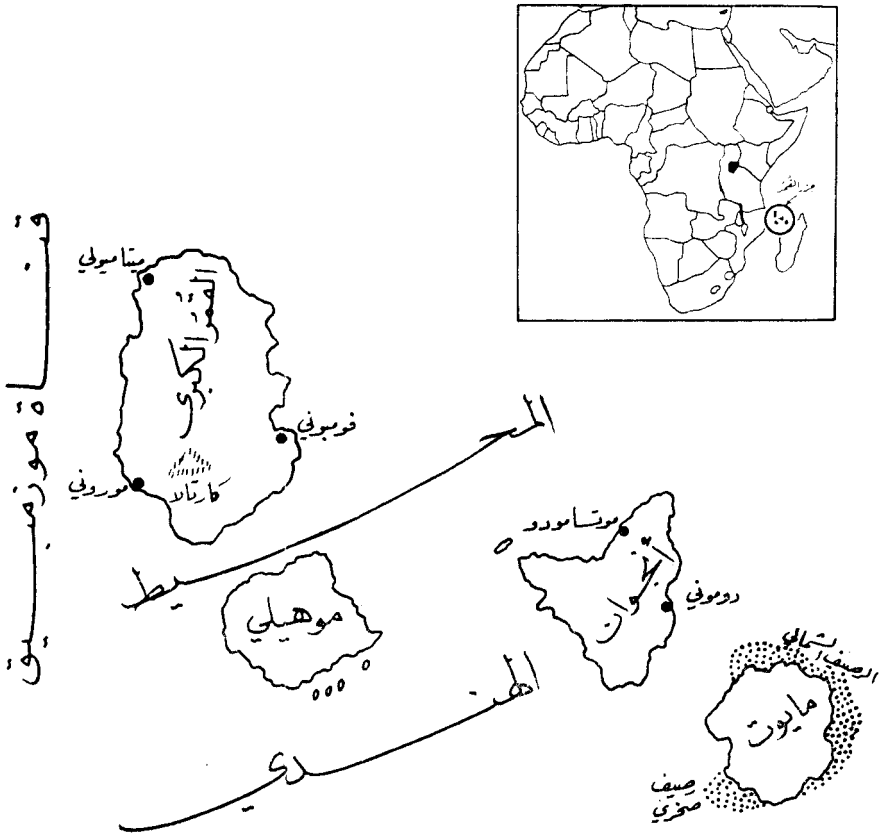
عبد الرحمن بدوي

الموجه الاول للتاريخ في وزارة التربية

مقدمة :

خرج العرب المسلمون من جزيرتهم يحملون رسالة التوحيد ، محررين الاقطار المجاورة لهم من نير الاجنبي واثم الشرك ، وقد وصل هؤلاء الكماة في فترة وجيزة الى حدود الصين شرقا وشواطئ الاطلسي غربا ، واصبحت حضارتهم منارة للعالم يقبّس منها ويهتدي بهديها .

الا أن التواجد العربي وانتشار الدين الاسلامي تعدى تلك الحدود ولم يتوقف مع توقف عملية الفتح ، بل ان انتشار الدين والتسرب العربي استمر بعد ذلك لعدة قرون متبعين الطرق التجارية التي كانت قائمة طيلة العصور الوسطى وشطرا من العصور الحديثة . ولقد انتشر الاسلام في جنوب شرقي اسيا ، حمله تجار يمنيون وحضارمة ، كما انتشر في وسط وغربي وشرقي افريقيا ، واسهم في حمله العرب المغاربة في غرب افريقيا والعمانيون والحضارمة واليمنيون في شرقيها فتأسست امارات ودول تدين بالاسلام وتحكم من قبل اسر عربية عريقة (الفونج ، زنجبار ..) وكان الساحل الشرقي لافريقيا موطن استيطان للعرب القادمين من شبه الجزيرة ، فاثروا في تكوين سكانه العرقي ، وصبغه حضارته بحضارة عربية اسلامية ، ونشرو الدين الاسلامي بين سكانه . وبذلك أصبح معظم سكان الساحل يتكلمون اللغة السواحلية التي هي مزيج من اللغة العربية ولغة البانتو الافريقية ، كما تطبعوا بالعادات والتقاليد الاسلامية وظهر منهم المتحمسون لهذا الدين فعملوا على نشره في الجزر القريبة منهم ، ومن اهمها جزر القمر مدار بحثنا في هذا المقال .



يتداول سكان هذه الجزر اسطورة قديمة توارثوها عن اجدادهم تقول : ان نفرا من الجن تأمر على بلقيس ملكة سبأ وسرق عرشها وخبأه بين حمم بركان كارثالا Carthala الموجود في جزيرة القمر الكبرى ، ولما يأسست الملكة من العثور عليه ، لجأت الى صديقها الملك سليمان طالبة منه ان يأمر اعوانه بالتفتيش عن العرش واعادته الى عاصمة ملكها ثم تستطرد الاسطورة فنقول ان سليمان جاء بنفسه الى تلك الجزر مدللا بذلك على مدى اهتمامه بالامر . وامر باعادة العرش الى صاحبه ، بيد

.....العرب في شرقي افريقيا

انه دهش مما راه من مناظر بديعة اخاذة : اشجار باسقة ، وطيور ملونة مفردة ، ونباتات تنبعث منها روائح ذكية ، بالاضافة الى زرقة السماء الصافية والتي تحاكي زرقة البحر المحيط بتلك الجزر والتي ينعكس على صفحتها ليلا ظلال من اللهب المتراقص والمنبعث من بركان كارتالا . كل ذلك جعل سليمان يقرر الاقامة بعض الوقت في احضان هذا الفردوس الذي لم تمتد اليه يد الانسان بعد ، متناسيا مالمديه من أعمال ومهام ، مؤثرا الاستمتاع والاستراحة في احضان الطبيعة البكر التي لم ير مثيلا لجمالها في مختلف اصقاع الارض .

تلك هي الاسطورة التي يتداولها سكان جزر القمر ، ولقد عبر واضعوها وبشكل موجز عما تتصف به هذه الجزر من جمال ساحر ، يندر وجوده في جزر المحيط الهندي وسواحل افريقيا الشرقية . وفي الواقع ان الزائر لها يقف مشدوها امام روعة الطبيعة بخلتها الخضراء الدائمة والروائح العطرة المنبعثة من ارجائها ، بالاضافة الى تأرجح بصره بين القمم العالية ، وبخاسة قمة جبل كارتالا، Carthala حيث يجثم البركان الذي يحمل هذا الاسم على ارتفاع ٢٣٦١ مترا في جزيرة القمر الكبرى والذي ينبعث من فوهته الدخان بشكل دائم وبين زرقة مياه المحيط الصافية التي تنكسر أمواجها على الارصفة المحيطة بهذه الجزر والتي تجعل اقتراب السفن الكبيرة منها فيه الكثير من المغامرة وبحكم المستحيل .

السمات الجغرافية لجزر القمر :

يتألف ارخبيل جزر القمر من أربعة جزر متفاوتة في المساحة وعدد السكان ، وهي :

- جزيرة القمر الكبرى ومساحتها ١١٤٨ كم٢ وعدد سكانها نحو ١١٨.٠٠٠ نسمة .

- جزيرة موهيلي Moheli مساحتها ٢٩٠ كم٢ وعدد سكانها نحو ١٠.٠٠٠ نسمة .

- جزيرة انجوان Anjouan ومساحتها ٤٢٤ كم٢ وعدد سكانها نحو ٨٣.٠٠٠ نسمة .

- جزيرة مايوت Mayothe ومساحتها ٣٧٤ كم٢ وعدد سكانها نحو ٣٢.٥٠٠ نسمة .

عبد الرحمن بدر الدين

وهذه الجزر بمجموعها تقع الى الشمال من قناة موزانبيق بين
خطي عرض ١٢ - ١٤ درجة جنوب خط الاستواء في حين يمر خط طول
٤٤ من وسط جزيرة انجوان ثمانية جزر الارخبيل من حيث المساحة
وعدد السكان . تبلغ مساحة هذه الجزر نحو ٢٢٣٦ كم^٢ بينما يصل عدد
سكانها الى ما يقرب من ٢٥٠.٠٠٠ نسمة فيكون متوسط الكثافة ١٠٤
شخصا في الكيلومتر المربع الواحد (١) .

ان اقرب جزر القمر الى الساحل الافريقي الشرقي هي جزيرة القمر
الكبرى grande comor ان تبعد عنه بحوالي ٣٠٠ كم ، بينما تفصل مياه
الحيط جزيرة ما يوت ، وتقع في أقصى جزر القمر نحو الشرق ،
عن ساحل جزيرة مدغشقر بمسافة مماثلة ، وتعتبر هذه الجزيرة اقدم جزر
الارخبيل تكونا واكثرها تأثرا بعوامل الطبيعة حتى اصبحت جبالها اشبه
بهضاب قليلة الارتفاع وترتبتها اكثر عمقا وخصوبة من ترب الجزر الثلاثة
ال اخرى . بينما نجد ان جزيرة القمر الكبرى احدث تشكلا ان تصل قمم
جبالها الى ٢٤٠٠ م وترتبتها اقل عمقا وخصوبة من ترب بقية الجزر .
وجزر القمر عامة مغطاة بصخور بركانية سوداء تحيل بعض مناطقها الى
أراض جرداء قاحلة غير صالحة للزراعة بسبب انتشار الكتل الصخرية
الصلدة الكثيمة على سطحها ، كما يتصف مناخ الجزر بالرطوبة الشديدة
والحرارة المرتفعة التي تتراوح بين ١٨ - ٣٣ ويتعاقب عليها فصلان
رئيسيان هما فصل الجفاف ويمتد من شهر نيسان وحتى شهر ايلول وتهب
عليها خلاله الرياح التجارية Alizé بينما تسيطر في الفصل المطير
والممتد من تشرين الاول وحتى شهر آذار الرياح الموسمية ، وتصل فيه
درجتي الحرارة والرطوبة الى حدما الاعظمي مما يجعل الجو ثقيلًا خانقا
من العسير تحمله ، وتحتاج الجزر في هذا الفصل زوايع واعاصير تسبب
في بعض الاحيان الكثير من المآسي والدمار وتزهق أرواح العديد من
السكان . ويبلغ المعدل السنوي للأمطار نحو ٣ م الا أن هذا الرقم متفاوت
بين جزيرة واخرى حسب موقعها الجغرافي وتعرضها للرياح القادمة اليها .

(1) La grande Encyclopédie - Larousse, Vol. 5.

شيء من التاريخ :

يكتنف الغموض التاريخ القديم لهذه الجزر من كل جوانبه ، ولم يتمكن الباحثون والمنقبون عن الاثار والوثائق من العثور على ما يضيء لهم الطريق لمعرفة . ولا يعني هذا ان تلك الجزر لم تكن مأهولة في سالف العصر وان سكانها لم يخلفوا وراءهم بعض منشآتهم وادواتهم ، بل انه من المعقول جدا ان اندفاعات البراكين وما تحمله من حمم مدمرة قضت على تلك الادوات والمنشآت فطمست بذلك معالم التاريخ القديم لهذه الجزر . اما تاريخها في العصور الوسطى فان المصادر اليونانية والرومانية لا تأت على ذكره ، بينما نجد الجغرافي العربي ياقوت الحموي المتوفى سنة ١٢٢٨ يذكر في معجمه تحت اسم القمر ما يلي :

« القمر جزيرة في وسط بحر الزنج ، ليس في ذلك البحر اكبر منها ، فيها عدة مدن وملوك ، كل واحد يخالف الآخر ، ويوجد في سواحلها العنبر وورق القماري وهو طيب يسمونه ورق التانبل ويجلب منها الشمع أيضا (١) » .

من الواضح ان هذا الوصف ينطبق على جزيرة مدغسقر الواقعة الى الشرق من جزر القمر الحالية ، فهي اكبر جزر بحر الزنج كما يصفها ياقوت ، ومن المحتمل ان هذه التسمية كانت تطلق على جميع الجزر الواقعة الى الشرق من قناة موزامبيق ولكنها ما لبثت ان اقتصرت مع الزمن على الجزر الاربعة المعروفة حاليا بهذا الاسم .

وتذكر بعض المصادر التاريخية ان عبد الملك بن مروان ارسل بعثة الى الساحل الشرقي لافريقيا ، وصل أفرادها الى ممباسة وعاشوا فيها الى جانب سكانها الاصليين ، وما لبث ان لحق بهم أعداد كبيرة من جنوب شبه الجزيرة العربية ، أخذوا يعملون للسيطرة على الساحل الشرقي فأسسو مدينة كلوة عام ٦٥ ٣ هـ / ٩٧٦ م ، وشمل نفوذهم جزر زنجبار وممباسة وبمبا (٢) . ومن المؤكد أن قسما منهم تسرب الى الجزر

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ط . صادر ، بيروت ١٩٧٥ ، الجزء ١٦ ،

ص ٣٩٧ .

(٢) عبد الكريم الغرابية ، دراسات في تاريخ افريقيا العربية ، ١٩١٨ - ١٩٥٨ .

القريبة من الساحل وسيطروا عليها واسموها باسم جزر القمر . ويعتقد بعض الباحثين ان هذه التسمية جاءت للتدليل على جمال تلك الجزر ، ان العرب يقولون عن الشيء الجميل انه كالقمر ، بينما يظن اخرون ان التسمية تدل على البعد وعدم امكانية الوصول اليه فيقولون بعيد بعد القمر ، وراي ثالث يؤيده سكان هذه الجزر وهو ان التسمية جاءت نسبة الى قُمْزري وجمعها قُمْزُر ، وكلمة قُمْزري تعني نوع من الحمام الذي يكثر في هذه الجزر مما جعل المارين بجوارها يقولون انها جزر القمر ، أي ذلك النوع من الحمام الذي يكثر فيها ، وما ان بدأ البرتغاليون عصر الاكتشافات الجغرافية حتى اصطدموا بالنفوذ العربي في الساحل الشرقي لافريقيا ، فعمدوا الى انشاء قواعد استعمارية لاساطيلهم في المحيط الهندي والخليج العربي لتأمين خطوط مواصلاتهم الى الهند ، كما اخذت السفن الاوربية من انكليزية وهولندية وفرنسية تجوب المحيط الهندي في طريقها الى بلاد التوابل باحثة عن مراكز لاساطيلها وقواعد لقواتها لتؤمن خطوط مواصلاتها الى مستعمراتها في الشرق الاقصى والهند . وكانت هذه السفن تحازي في الغالب جزر القمر وتشتري منها ما تحتاج اليه من مواد تموينية . وقد جاء في تقرير كتبه ضابط هولندي يدعى Van Broecke عام ١٦١٤ ، وصفا لجزيرة انجوان التي حل بها بتكليف من قائده ولغرض تمويني ما يلي : (١) .

« بعد ان اجتزنا رأس الرجاء الصالح في ٣ مايس ١٦١٤ ، ابحرنا ما بين مدغشقر وشاطئ سفاله Sofala حتى جزر القمر ماريين امام موزانبيق . وفي ٣ حزيران القينا المرساة أمام جزيرة Answannij (انجوان) وارسلني قائدنا الجنرال Gerard Reynst في الغداة الى الجزيرة حاملا هدية للملك Mogné - Fané وطالبا منه السماح بشراء بعض المواد الغذائية . لقد استقبلت منذنزولي من قبل الملك نفسه الذي كان عربي المولد وقادني الى قصره باحتفال تخلله الطبل والزمر واعطاني ١٣ بقرة و ١٠ خراف و ٢٠ دجاجة وفاكهة ممتازة . ثم عقدت اتفاقا معه حول تحديد اسعار البقر الذي نرغب بشرائه وعدت لاعلم الجنرال بنبا اتفاقنا ، فأرسلني

(1) Robert Laffont; Les mémoires de l'Afrique des origines à nos jours,

.....العرب في شرقي افريقيا

الى الجزيرة ثانية فقصدت مدينة Demonjo (دوموني حاليا Domoni)
حيث تعيش ملكة جزر القمر Mollanna Allachorre وزوجها عيسى Haissa
وقد استقبلتني استقبالا حسنا وانزلتني في بيت أحد سادة المدينة ، وما ان
علم السكان بهدفي من الزيارة حتى اخذوا يعرضون علي مختلف منتجاتهم
كالبقر والخراف والماعز والدجاج والارز الابيض والدخن والفول
والفواكه ٠٠٠٠٠ وقد قايضت الملكة باعطائها ورقا للكتابة مقابل البقر
الذي حصلت عليه ٠٠٠٠ وفي جزيرة انجوان اربعة مدن كبيرة محصنة
ومحاطة بأسوار و ٣٤ قرية ٠ والسكان اصحاب امزجة فرحة مستبشرة وهم
جميعهم مسلمون ويوجد في الجزيرة العديد من المساجد وزعمائها من
اصل عربي ٠٠٠٠ ويجلب اليها العبيد من ارض الكاهن يوحنا Prêtre - jean
والحبشة ومدغشقر وهم خدم ممتازون لا يكلف الحصول عليهم غاليليا
وانجوان جزيرة كثيرة الخصب فيها الكثير من المياه التي تنحدر من الجبال
ويزرع فيها كل انواع الفواكه وجوز الهند كما تكثر فيها الطيور كالتواويس
والحجل والبيغاوات ٠٠٠٠ ويبحر سكان الجزيرة في موسم الرياح
الموسمية الى جزيرة مدغشقر بسفنهم الخالية من المسامير الحديدية ، وانما
تشدد دفوفها الى بعضها البعض بواسطة خيوط مصنوعة من الياقوت الهند
ويشترون من تلك الجزيرة الارز والدخن والعنبر والعبيد حيث ينقلون هذه
البضائع الى البلاد العربية عبر البحر الاحمر ليبادلوا بها بالاقمشة
القطنية والافيون ٠

ويختتم Van Broecke تقريره بقوله ٠٠٠٠ ان هذه الجزيرة تضم
نحو عشرة ملوك صغار يستقر العداء فيما بينهم وهم في حروب دائمة ٠
تلك هي مقتطفات من تقرير ذلك الضابط الهولندي ، وهي تشير صراحة
الى وجود العنصر العربي في تلك الجزر كما تؤكد ان الديانة السائدة فيها
هي الديانة الاسلامية ، وانها كانت تحتوي على ثروات حيوانية ونباتية
كثيرة ورخيصة الثمن وان ربابنة السفن كانوا يؤمنونها للتزود بالمواد
وما يحتاجون اليه في سفرهم الطويل ٠

ان الدراسات الالغوية واللغويات Linguistique والروايات
المتناقلة شفاها كلها تشير الى وجود قرابة عرقية بين سكان هذه الجزر
وسكان الساحل الشرقي الافريقي ، اذ ان سكان هذا الساحل يتكلمون
اللغة السواحلية بينما يتكلم القمريون لهجة من لهجاتها بالاضافة الى

الكثير من الكلمات العربية المليئة بها . ويذهب الالب الفرنسي Sacleux الى القول : ان السكان الاول للجزر كانوا من اصل فارسي ومن مدينة شيراز بالذات اعتمادا على بعض المعلومات التاريخية التي تؤكد مجيء قادمين جدد اليها حوالي عام ١٥١٠ من اصل شيرازي ، وان اسلافهم كانوا قد غادروا بلاد الفرس بسبب اضطهادات مذهبية في عهد الاسرة الصفوية ، اذ انهم لم يقبلوا الاخذ بالمذهب الشيعي بديلا عن مذهبهم السني (المدرسة الشافعية) مما جعل السلطات الفارسية انذاك تضيق عليهم الخناق وتطاردهم ، فلجؤوا الى حضرموت ثم هاجروا الى الساحل الشرقي لافريقيا بعد ان كانوا قد اختلطوا بعرب الحجاز واليمن . واقاموا على طول الساحل وبخاصة في مدينتي كلوة kiloa وياتا Patta وهاجر فيما بعد بعض احفادهم الى جزر القمر تحت امرة احد زعمائهم المدعو محمد الثوماني والذي اشتهر باسم محمد عيسى واتخذ من جزيرة القمر الكبرى موطن له . بينما اتجه مساعده الاول المدعو حسان نحو جزيرة انجوان وجعلها مقرا له والثاني ويدعى عثمان نحو جزيرة مايوت وجعلها مركزا لنشاطه . لقد عمل هؤلاء الثلاثة مع ابنائهم واتباعهم على نشر الديانة الاسلامية ، فاعتنق القمريون الاسلام واتخذوا المذهب السني مذهباً لهم ، وذلك بتأثير هؤلاء الدعاة الذين اصبح احفادهم فيما بعد يشكلون طبقة ارسقراطية تزعمت الجزر وسيطرت عليها حتى مجيء الغزو الاوربي واخضاعها لحكمه .

لقد تعرضت الجزر قبل احتلالها رسميا من قبل فرنسا الى الكثير الغزوات الاجنبية التي كانت تحمل معها الموت والدمار ، فلقد غزاها البرتغاليون ، كما غزاها القراصنة الذين طردوا من منطقة جزر الانتيل فنقلوا نشاطهم الى مياه قناة موزامبيق . وفي عام ١٧٨٠ بدأ قراصنة مدغشقر يشنون غارات متواصلة على الجزر بغية السلب والنهب فكانت غنائمهم تتألف في الغالب من العبيد ، والنساء ، والبقر الهندي zebus وقد استمروا في تعدياتهم نحو اربعين عاما ، ولما كانت هذه الجزر مفككة انذاك لا تخضع الى حكم موحد ، لذا كان على سلطان كل جزيرة ان يدافع عن جزيرته بمعزل عن السلاطين الاخرين ، وهذا ما اطمع بهم القراصنة وبخاصة قراصنة مدغشقر الذين احتلوا جزيرة مايوت وجعلوها مركزا لنشاطهم يشنون منها غارات مفاجئة على الجزر الاخرى باعثن الذعر

.....العرب في شرقي افريقيا

والرعب فيها حتى احتلال الفرنسيين لهذه الجزيرة عام ١٨٤١

لقد جاء احتلال جزر القمر اثر تجريد فرنسا من معظم مستعمراتها مما جعل ضباط الاسطول الفرنسي العامل في المحيط الهندي يفتشون عن مناطق جديدة تعوضهم عن خسارة بلادهم في هذا المحيط وبخاصة بعد سلبهم جزر موريس اثر معاهدة فيينا ١٨١٥ ، ولقد وجدوا الفرصة سانحة للتدخل في النزاع الذي كان مستعرا بين قراصنة مدغشقر من جهة وسلطان جزيرة انجوان الموالي للانكليز من جهة ثانية ، وقد وافقت الحكومة الفرنسية على احتلال جزيرة مايوت بحجة مطاردة القراصنة ومكافحة تجارة الرقيق التي وضع مؤتمر فيينا حدا لها . وفي عام ١٨٤٢ بسطوا نفوذهم على جزيرة موهيلي واقصوا ملكتها فاطمة دجومبيه Fatima Djombé عن عرشها ، وعينوا مكانها سيدة من اصل كريولي تدعى Madame Droit الا انهم ابعدها عن الحكم سنة ١٨٥١ . ثم تابعت فرنسا احتلال الجزيرتين الاخريين ، واعلنت سنة ١٨٨٦ حمايتها على جزر القمر بكاملها (١) ، وما لبثت ان ألغت الحماية سنة ١٩١٢ واعتبرت الجزر مستعمرات فرنسية ، ثم الحققتها في مطلع الحرب العالمية الاولى بحكومة مدغشقر الاتحادية . وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية اعتبرت فرنسا هذه الجزر من ممتلكاتها فيما وراء البحار وسمحت لها بتشكيل مجلس للشيوخ واخر للنواب . وفي سنة ١٩٦٢ منحت الجزر الاستقلال الداخلي واصبح النائب القمري في البرلمان الفرنسي سابقا سعيد محمد الشيخ رئيسا لحكومة الجزر فاتخذ من مدينة موروني Moroni في جزيرة القمر الكبرى عاصمة للبلاد . وبدأ القمريون بتشكيل أحزاب سياسية برز منها حزبان هما : حزب التجمع الوطني للشعب القمري ، وحزب الاتحاد الديمقراطي للقمريين ، أخذا يتنافسان للسيطرة على مقاليد الحكم ، وبعد وفاة رئيس الحكومة سعيد محمد الشيخ خلفه الامير سعيد ابراهيم في فترة حرجة من تاريخ البلاد ، ازداد فيها الصراع السياسي وساءت الاوضاع الاقتصادية ، ثم انتخب في ٢٤ كانون الاول ١٩٧٢ عضو مجلس الشيوخ احمد عبد الله رئيسا لحكومة الجزر وتم له ذلك اثر زيارة قام بها الى فرنسا واجتماعه مع الرئيس جورج بومبيدو واتفاقهما على

(1) Bernard Gerard Delroisse, Les Comores.

..... عبد الرحمن بدر الدين

اجراء استفتاء لسكان الجزر لمعرفة رغبتهم في الاستقلال او البقاء تابعين للجمهورية الفرنسية ، وتم ذلك في ٢٢ كانون الاول ١٩٧٤ فجاءت النتيجة مؤيدة للاستقلال واعلن الرئيس أحمد عبد الله استقلال الجزر الاربع في ٧ تموز سنة ١٩٧٥ وانتخبه السكان رئيسا للدولة .

كا على الرئيس الجديد ان يبدأ بانشاء الاطر الضرورية للدولة ، وان يواجه المشاكل العاجلة التي نشأت عن انسحاب الفرنسيين وتسليمهم مقدرات الحكم في الجزر للقمريين عدا جزيرة مايوت . الا انه اطيح به في ٥ اب ١٩٧٦ اثر انقلاب عسكري رفع الى سدة الرئاسة السيد علي صويلح رئيس الاتحاد الديموقراطي للقمريين ، الذي لاقى معارضة قوية من السلطة الفرنسية في جزيرة مايوت والتي كانت تحرض سكان الجزيرة وتشجع اقلية من الكريول على الانفصال عن دولة القمر ، حرصا على مصالح بعض الراسمالين الفرنسيين الذين يملكون مزارع واسعة للنباتات العطرية في هذه الجزيرة . اما الرئيس السابق فقد لجأ مع بعض اعوانه الى فرنسا حيث بدا يتدبر الامر للعودة الى بلاده منتصرا وتم له ذلك اثر انقلاب قام به بعض المرتزقة وبزعامة احد الفرنسيين المقيمين في جزيرة مايوت ١٩٧٨ قتل فيه الرئيس صويلح وبعض اتباعه . وفي الواقع ان الصراع بين الحزبين لا يقوم على اسس ومبادئ سياسية بل يكمن وراء الشعارات مصالح شخصية بحتة وارتباطات مع بيوتات مالية اجنبية . فلقد كان يمثل جزر القمر في اوربا سفير جوال يحمل الجنسية الفرنسية، متهم في نزاهته وولائه لهذه الجزر ولكنه مرتبط بها بما يملكه فيها من اراض ومزارع يستغلها لحسابه الشخصي .

الحياة الاجتماعية في جزر القمر

لا يشكل سكان ارخبيل جزر القمر وحدة عرقية متجانسة ، بل هم خليط من اجناس مختلفة ويتضح ذلك من سحنهم ولون بشرتهم ، ومن الممكن ان نميز خمسة اجناس رئيسية وهي :

١ - العرب : وقد جاؤوا من جنوب شبه الجزيرة العربية ومنطقة

..... العرب في شرقي افريقيا

الخليج وضاف البحر الاحمر ، وهم يشكلون من الناحية العرقية اهم الاجناس المتواجدة في الجزر ، كما انهم يعتبرون الطبقة الارستقراطية والحاكمة ، ويتمتعون باحترام بقية المواطنين اذ نشر اسلافهم الاسلاميين السكان القدماء واعطوهم الحروف العربية لاستخدامها في كتابة لغتهم الوطنية .

٢ - Oimatsaha ويرجع هؤلاء في اصولهم الاولى الى جزر الهند الشرقية وهم يتمركزون في المرتفعات الجبلية لجزيرة انجوان ويتصفون بالبشرة السمراء والشعر الاملس او المجعد حسب درجة التهجين والانف المقوس والجبهة المتراجعة .

٣ - Les Makoas وهم من اصل افريقي انتقل اجدادهم من الساحل الشرقي لافريقيا الى الجزر كرقيق يعملون في البيوت والمزارع ثم تكاثروا فأصبحوا يمثلون فئة لا بأس بها من السكان من حيث العدد .

٤ - Les Cafres وهم احفاد السكان القدامى لهذه الجزر ، يرجعون بأصولهم الى البانتو Pantous الافارقة ويعتبرون اقلية بالنسبة لبقية الاجناس .

٥ - المدغسقيرون ويقيمون بشكل خاص في جزيرة مايوت ، قدموا اليها زمن الهجرات ونشاط القراصنة ، ومعظمهم مهجنون يطلق عليهم اسم الكريول Criole ان جميع سكان هذه الجزر مسلمون محافظون عدا اقلية ضئيلة من الكريول في جزيرة مايوت اعتنقت الديانة المسيحية بتأثير المبشرين الفرنسيين وبتشجيع من الحكومة الفرنسية . وتنتشر المساجد في جميع أنحاء الجزر ويزيد عددها على ٦٠٠ مسجد وهي تغص بالمصلين في أيام الجمع وشهر رمضان . والحج مطمح رئيسي للاغنياء من السكان اذ يكسبهم احترام عامة الناس وثقتهم ، كما أن اتباع الطرق الصوفية شائع بينهم ، ولعل الطريقة الشاذلية هي التي تحظى بأكبر عدد من المريدين والقمريون يقدسون قبر محمد التوماني المدفون في جزيرة القمر الكبرى لانه أول من نشر الاسلام في هذه الجزر فيفقدون لزيارة قبره والتبرك به .

عبد الرحمن بدر الدين

ان الاسرة لدى القمريين تقوم من حيث المبدأ على نظام تعدد الزوجات ، وعلى والد الفتاة أن يهيئ لابنته بيتاً أو كوخاً حسب امكانياته المادية لسكنى الزوج فيه ، الذي من واجبه أن يكون عادلاً بين زوجاته وأن يرعى أولاده ويعمل على اسعادهم ، كما أن عليه أن يوزع ثروته واملاكه على اولاده وازواجه قبل وفاته ، ولدى القمريين تقليد يسمونه الزواج الكبير يحرص كل مواطن على تحقيقه ليحسن من مركزه الاجتماعي ويكسب احترام الآخرين . ويتم هذا الزواج بأن يقوم القادر عليه بتجديد عقد زواجه من امرأة على عصمته أو بالزواج من فتاة جديدة تنضم الى زوجاته الاخريات . ولا بد من فترة استعداد قد تطول الى عشر سنوات أو أكثر بسبب ما يكلفه هذا الزواج من نفقات مادية باهظة ، وهذا يتطلب مؤازرة جميع اقارب العريس وأبناء عشيرته .

تبدأ خطوات الزواج بأن يستشير الزوج العرافين فيمن يريد الزواج منها ، وهل سيكون ذلك في مصلحته في المستقبل ولسعاده اسرته وقبيلته ثم يرسل بعض الهدايا لاسرة العروس يعقبها زيارة مع ثلة من أقاربه لتقديم المهر لابنها . ومن ثم يحدد يوم الزفاف الذي يكون في الغالب يوم جمعة ، وتبدأ الاحتفالات بمواكب طويلة يشارك فيها جميع أبناء القرية وتستمر ثلاثة أيام ، لا يألوا خلالها الموسيقيون جهداً في اظهار قدراتهم الغنائية والموسيقية وتقام المآدب كل يوم وتنفق الاموال الطائلة للتعبير عن الكرم من ناحية وتأكيداً لملاءة العريس المادية ، وفي اليوم الثالث يخرج العريس من داره مع أقاربه وأصدقائه في موكب كبير متجهين نحو بيت الزوجية المقبل حيث تكون العروس وأمها بانتظاره ، ويتقدم الموكب شاب يحمل على رأسه صينية مكشوفة تحتوي على الحلوى والمجوهرات والهدايا التي قدمها العريس لعروسه .

وما ان يصل الموكب الى بيت العروس حتى يأخذ أفرادها بالانصراف تاركين العريس عند عروسه لوحدهما ولمدة تسعة أيام لا يحق للزوجة خلالها أن تغادر بيتها ولها أن تستقبل صديقاتها المباركات لها بالزفاف ، بينما لا يحق للزوج أن يظهر أمامهن وعليه أن يبقى مختبئاً في غرفة مجاورة . وما ان تنتقضي هذه الايام التسعة حتى تعود الحياة الى مجراها الطبيعي فتنصرف العروس الى عملها في البيت أو الحقل ، كما ينصرف العريس الى عمله السابق .

.....العرب في شرقي افريقيا

ان الزواج الكبير في نظر القمريين يعطي صاحبه امتيازات كثيرة لا تقل عن الامتيازات التي يحصل عليها الحاج الى بيت الله الحرام .
فصاحبه الحق في المشاركة في مجلس الاعيان ، الذي يبحث كل الامور الهامة المتعلقة بحياة سكان المدينة أو القرية ، كما باستطاعته أن يكسب ثقة التجار والممولين والشركات فيستدين منهم مبالغ طائلة يوظفها في أعماله الزراعية أو التجارية ، كما تتغير نظرة المواطنين اليه فتصبح كلها تجلة واحترام يشيدون بأفضاله ومآثره في مجالسهم الخاصة وفي أسواقهم هذا بالإضافة الى أن من حقه أن يكون ضمن المصلين في الصف الاول في المسجد . . . الخ .

ان هذه الميزات التي حصل عليها سيكون لها تأثير مباشر على أقاربه وعشيرته ومن هنا جاء حرصهم على الاسهام بأموالهم لتحقيق هذا الزواج مؤملين الفائدة المادية والشرف والجاه من ورائه .

ان هذا النوع من الزواج لايزال معمولاً به في معظم جزر القمر ، ولكنه أخذ يتلاشى بعض الشيء في عاصمة البلاد موروني ، كما أخذت ظاهرة تعدد الزوجات تجد بعض المعارضة والنقد في صفوف القمريين المثقفين .

أوضاع جزر القمر الاقتصادية :

تعتمد هذه الجزر في حياتها الاقتصادية على ما تصدره من خلاصة العطور حيث تزرع مساحات واسعة من النباتات العطرية مثل الفانيلا ، اللانج لانج ، القرنفل ، الياسمين ، الحبق . . الخ . وتملك الشركات الفرنسية جميع مصانع التقطير الموجودة في هذه الجزر ، كما تعتمد الجزر على بعض ما تنتجه من القرفة ، والكوبرا والموز والقهوة . ولما كانت قيمة الصادرات لا تفي بحاجتها لذا فانها تستفيد من الاموال التي يرسلها أبناؤها في الخارج الى ذويهم ويبلغ عدد هؤلاء المغتربين نحو خمسين الفا في جزيرة مدغشقر وأربعين الفا في زنجبار ، هذا بالإضافة الى المساعدات المادية والعينية التي تأتيها من دول الجامعة العربية ومن منظمة الشعوب الناطقة باللغة الفرنسية .

..... العرب في شرقي افريقيا

لقد استغلت فرنسا الوضع الاقتصادي السيء وأخذت تمارس ضغوطا مختلفة بعد أن حصلت الجزر على استقلالها بغية الإبقاء على الثقافة والمصالح الفرنسية ، فامتنعت مثلا عن تزويد البلاد بما تحتاج اليه من مدرسين في العام الدراسي ١٩٧٥ وبذا تعطلت الدراسة في المرحلة الاعدادية في ذلك العام . مما ألجأ المسؤولين الى الاستعانة بمنظمة الشعوب الناطقة بالفرنسية التي أمدتهم في العام التالي ببعض المدرسين والذين تنقصهم الخبرة والكفاءة العلمية مشترطة أن تكون المعونة لمدة عام واحد . وقد دفع ذلك بالمسؤولين للاستعانة بالجامعة العربية التي وعدتهم بتلبية طلبهم مؤملة أن يتبنى القمريون اللغة العربية كلغة رسمية للبلاد ، ولكن فرنسا هددت بأنها لن تعمل على حل مشكلة جزيرة مايوت التي لا تزال بحوزتها اذا ما تم الامر . وكان من نتيجة ذلك أن أقر القمريون الاستمرار باعتبار اللغة الفرنسية كلغة أولى في التعليم وأن تأتي اللغة العربية كلغة أجنبية في المدارس .

والقمريون اجمالا متدينون يرسلون أطفالهم منذ سن الرابعة الى الكتاتيب التي تنتشر في جميع القرى وبأعداد كبيرة ، ويشرف عليها بعض المتدينين من الرجال أو النساء ، يجدون من واجبه الديني تعليم هؤلاء الاطفال قراءة القرآن وأمور دينهم والاحرف العربية ، وان كانوا هم انفسهم لا يفقهون معنى ما يقرأون واذا ما بلغ الطفل السابعة أو الثامنة من العمر أرسله ذويه الى المدرسة ان توفرت في منطقتهم ليبدأ تحصيله العلمي والتعليم في مختلف مراحل مجاني وتقوم الدولة بالانفاق على المدارس الداخلية التي يتألف معظم طلابها ممن لا تتوفر في قراهم مدارس تؤمن لهم التعليم ، وهذا ما يزيد في الاعباء المالية للدولة .

